بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين،

والصلاة والسلام على النبيّ العربيّ الأمين،

أيّها الأهل العلماء

الزملاء أعضاء المجلس والمكتب التنفيذي

الضيوف الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،

فأهلاً بكم في مجمعكم، وشكراً لكم على حضوركم الكريم للمشاركة في هذا المؤتمر، الذي نعرف فيه أنّ العربيّة قصدُنا الأخير، وكلُّ ما نقول فيها سبيلُ..

أيّها الأعزّاء،

مؤتمرنا هذا يبحث في العربيّة والتعليم، وقد اخترت أن أوجل الكلام الفكريّ في هذا الافتتاح قليلاً، وأستأذنكم أن أبوح لكم بما يفوح به العنوان في خاطري، بدءاً من زمان بعيد.

كان الزمان آخر، والجدالُ غائباً، والخوفُ حقّاً "ما تخوّفه الفتى"،

كنّا صبية في كتّاب الشيخ راسم اللبدي في قرية جنوبية، وكان القرآن مادّة الدرس، وشيء من الخطّ والقراءة والحساب. كان المسجد هو المدرسة، وكانت الفصيحة جديدة على القرية وأهلها، إلاّ من حفظ منهم أجزاء من القرآن الكريم، ذلك أنّ التعليم الرسميّ لم يبدأ إلاّ في تلك السنة في أوائل الخمسينيات، وكان أهلنا يحتفلون بمن يحفظ جزءاً من القرآن، وعلى بساطة ذاك الزمان لا أظنّ أنّي نلت تكريماً أسعدني مثل ذاك الذي كان..

بعد ثلاثين سنة من ذاك التاريخ، وقد صرتُ أستاذاً مساعداً في الجامعة، زارني شيخي على غير موعد، كان كما هو أيُّ معلّم لأيّ واحد منّا على حاله لم يتغيّر، وأظنّكم تعرفون أو يعرف كلّ واحد منكم تلك الإشراقة في وجه معلّمه وفرحته بتلميذه حتّى لو انقضى دهر على الزمن الأوّل.

بعد شيخنا جاء إلى المدرسة الأستاذ مصباح اشتي من الخليل، ومعه بدأنا رحلة الضبط والنظام والانتقال من صفّ إلى آخر، والحرص على هذا العدد القليل الذي دخل المدرسة، ثم تبعه على الطريق معلمون متميّزون. كانت العربيّة أولويّة عندهم جميعاً، وكلّما ازددنا معرفة بها، ازداد إحساسنا الغامض بأنّنا نكبر ونستفيق على دنيا جديدة كانت ما تزال داخل اللغة، ومن ذلك الأمّة والوحدة وتحرير فلسطين.

ومع دروس القرآن الكريم وحفظه كانت كتب العربيّة مقصدنا الثاني، وكنّا نتنافس في الصباح من يحسن الإنشاد: "بلاد العرب أوطاني"،

ومرّ زمن كنّا نظنّ فيه أنّ قصيدة أبي فراس "أراك عصيّ الدمع" لا تتقدّم عليها قصيدة، ربّما لأنّه أنشد فيها: "أما للهوى نهي عليك ولا أمر" و"تكاد تضيء النار بين جوانحي.."، وقد كنا فتية يكاد يكتمل خروجهم من الكهف، إلى أن ظهر لنا في غبش الفجر رجلٌ على راحلته ينشد: "كفى بك داء أن ترى الموت شافياً"، فغادرنا ديوان أبي فراس إلى ديوان أبي الطيب وما خرجت منه إلى اليوم، وأنا على حالي: "أريه الرضا لو أخفت النفس خافيا.. وما أنا عن نفسي وما عنه راضيا".

أيّها الأعزاء،

لقد كانت العربيّة، وما تزال، معجزة العرب الأولى وملجأهم الأخير كلّما سُرِقَت أحلامهم. وهي اللغة التي نخاطب بها الله، شاكين إليه ضعف قوّتنا، وقلّة

حيلتنا، وهواننا على الناس، ويردّ بها علينا في كتابه الكريم: "مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى". أيّ أمّة سوانا لغتها هي طريقها إلى الغيب، ومع ذلك خانها من لا يعقلون، وإنّي ما زلت أعجب "كيف يمكن أن يخون الخائنون".

لقد غدت العربيّة روميّة حسب وصف أبي الطيّب: "كأنّ جيوب الثـــاكلات ذيول"، وأصبحت العاميّة والركاكة والاستلاب هويّة العصر الذي يعتقد أهله أنّ الحضارة حاسوب وشبكة معلومات ولغة أجنبيّة. وكم كرّرنا هذا البكاء، وقـــرّر كلّ منا أن يفعل شيئاً من موقعه: معلّماً في مدرسة أو أستاذاً في جامعة أو باحثاً أو مسؤولاً.

بالإضافة إلى قانون حماية اللغة العربية، والدعوة إلى حفظها فـــي التعلـــيم العام والعالي، بأن يكون كلّ معلّم معلّماً للغة العربيـــة، وأن يكـــون التـــدريس الجامعي باللغة العربيّة، ونعمل على امتحانات الكفاية، وتنجز لجنـــة النهـــوض باللغة العربية دراسة عن واقع اللغة العربية في الجامعات، إضافة إلى اللجنـــة التي تعمل تجريبياً في مؤتة تحضيراً لامتداد المشروع إلى سائر الجامعات.

وقد اقتربت إذاعة مجمع اللغة العربية من الانطلاق، لتصـــبح صـــباحات الأردنيين فصيحة جميلة، علّ العربية تعود إلى موطنها الأصلي فـــي قلـــوبهم وصدورهم وخواطرهم، لتعينهم على الدنيا.

أيها الأعزاء،

يحضرني في هذا المقام عن اللغة قول البحتري:

إذا ما نهى الناهي فلـــجّ بـــي الهـــوى أصاخت إلى الواشي فلجَّ بها الهجـــرُ

وقول أبي تمّام:

فنعمتِ من شمسٍ إذا حُجبــت بــدت مــن خدرها فــكأنّها لــم تُحجَــبِ

وقول أبي الطيب:

أمــا تغلــط الأيّــام فــيّ بــأن أرى بغيضاً تنـــائي أو حبيبــاً تقــرّبُ

أيّها الأعزاء،

لكل منكم أن يقول، وأنتم تدافعون عن العربيّة، لغة الأمة التي تخلّت عنــا وجفت نفسها:

"جفتني كأنّي لست أنطق قومها"

أكرّر الشكر لكم جميعاً، وللمؤسسات التي تدعمنا، وأخصّ وزارة التربيــة والتعليم، والجامعة الأردنية، وهيئة الإعلام، والمدينة الإعلامية، وسائر أجهــزة الإعلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدكتور خالد الكركي

رئيس مجمع اللغة العربية الأردني